Al-Farouk journal of sciences
Volume (2), Issue (1) (March, 2026)
ISSN: 3135-2359

مجلة الفاروق للعلوم
المجلد (2) العدد 1 مارس 2026
ردمد: 3135-2359

الدور الوطني للمرأة الليبية في دعم ومساندة حركات المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي خلال الفترة (1915–1932م)

مريم عبدالله الطاهر جرافة

قسم التاريخ– كلية التربية زوارة– جامعة الزاوية

m.garrafa@zu.edu.ly

The National Role of Libyan Women in Supporting and Assisting Resistance Movements Against the Italian Occupation During the Period (1915–1932)

Maryam Abdullah Al-Taher Jarrafa

Department of History – Faculty of Education, Zuwarah – University of Zawiya

تاريخ الاستلام: 2026/01/10 تاريخ المراجعة 18 / 2 / 2026 تاريخ القبول: 2026/03/11- تاريخ النشر: 22/03/ 2026

الملخص

هدف البحث إلى تسليط الضوء على إسهامات المرأة في مجالات الدعم اللوجستي، والتمريض، والعمل الاستخباري، فضلا عن دورها التعبوي والتربوي وصمودها الأسطوري داخل معتقلات الإبادة.

واعتمد على المنهج التاريخي التحليلي والمنهج الوصفي لرصد الوقائع وتحليل دلالاتها الوطنية، مع الاستعانة بأدوات بحثية متنوعة شملت الوثائق التاريخية، والمذكرات، وتحليل الأدب الشعبي كوثيقة اجتماعية حية. وخلص إلى أن المرأة الليبية مثلت المؤسسة السيادية التي أدارت اقتصاد الحرب في الأدوار والنجوع، مما ضمن استدامة المقاومة لأكثر من عقدين رغم الحصار المطبق. واثبتت فاعلية المرأة في الحرب النفسية عبر سلاح الكلمة وشحذ الهمم، وأن صمودها داخل معسكرات الإبادة (العقيلة، المقرون، البريقة) أفشل استراتيجية الأرض المحروقة الهادفة لكسر إرادة المجتمع.

واوصى بضرورة إدماج التاريخ الاجتماعي للمقاومة في المناهج الأكاديمية، والإسراع في توثيق الروايات الشفوية لإنصاف الذاكرة النسائية الليبية.

الكلمات الافتتاحية: المرأة الليبية، الدور الوطني، الدعم، المساندة، المقاومة، الاحتلال الإيطالي

Abstract

This research aims to shed light on the significant contributions of Libyan women in the fields of logistical support, nursing, and intelligence work, as well as their strategic mobilization, educational roles, and legendary resilience within fascist concentration camps. The study employs both the historical-analytical and descriptive methodologies to monitor events and analyze their national implications, utilizing diverse research tools including historical documents, memoirs, and the analysis of folk literature as a vital social record.

The research concludes that Libyan women functioned as a sovereign institution that managed the war economy within the Adwar (military camps) and Nuju' (rural settlements), ensuring the sustainability of the resistance for over two decades despite the rigorous blockade. Furthermore,

the findings demonstrate the effectiveness of women in psychological warfare through the weapon of the word and the boosting of morale. Their steadfastness inside concentration camps (such as El Agheila, Al-Maqrun, and Brega) successfully thwarted the scorched earth strategy designed to break the collective will of society.

The research recommends the integration of the Social History of Resistance into academic curricula and emphasizes the urgency of documenting oral histories to do justice to the Libyan female national memory.

Keywords: **Libyan Women**, **National Role**, **Support**, **Assistance**, **Resistance**, **Italian Occupation**.

مقدمة

يعد تاريخ حركات التحرر الوطني ضد الاستعمار التقليدي في مطلع القرن العشرين واحدا من أكثر السجلات الإنسانية ثراء بالتضحيات، حيث لم تكن تلك الحركات مجرد مواجهات عسكرية عابرة، بل كانت صراعا وجوديا خاضته الشعوب للحفاظ على هويتها وأرضها، ولقد مثل الغزو الإيطالي لليبيا عام 1911م أنموذجا صارخا للأطماع التوسعية التي استهدفت تطويع الجغرافيا والإنسان معا، مما ولد مقاومة ليبية اتسمت بالشمولية والاستمرارية لأكثر من عقدين من الزمان. وبالرغم من أن الدراسات التاريخية والسياسية قد أسهبت في رصد المعارك الميدانية، وتحليل الخطط العسكرية، وتتبع سِير القادة من الرجال، إلا أن هناك جانبا حيويا في هذه الملحمة ظل لفترات طويلة حبيس التهميش أو التناول العرضي، وهو الجبهة الداخلية التي شكلت العمود الفقري لصمود المقاتلين في الميدان.

وفي قلب هذه الجبهة، برز الدور الوطني للمرأة الليبية كقوة دفع استراتيجية لا تقل أهمية عن المعارك المسلحة، فالحديث عن المقاومة الليبية بين عامي (1915–1932م) لا يستقيم دون تسليط الضوء على تلك المرأة التي تحولت من دورها التقليدي داخل النجع والبيت إلى شريك فاعل في صناعة القرار المقاوم وتأمين بقائه. ففي الوقت الذي كان فيه الاحتلال الإيطالي، خاصة في حقبة غراتسياني المتوحشة، يسعى لتجفيف منابع الإمداد وكسر الإرادة الشعبية عبر سياسة الأرض المحروقة والمعتقلات، كانت المرأة الليبية هي الحصن المنيع الذي حال دون انهيار المجتمع وتفككه.

لقد تداخلت أدوار المرأة الليبية في هذه الفترة الحرجة لتشمل الدعم اللوجستي المعقد، والعمل الاستخباري، وصولا إلى المشاركة الميدانية في التمريض وحمل السلاح عند الضرورة القصوى، فضلا عن دورها المعنوي والتربوي الذي ضمن تدفق أجيال من المجاهدين يرفضون المساومة على الثوابت الوطنية. ، تأتي هذه الدراسة لتركز بشكل خاص على الدور الوطني للمرأة الليبية في دعم ومساندة حركات المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي (1915–1932م)، وتوضيح كيف استطاعت المرأة الليبية بوعيها الفطري وصمودها الأسطوري أن تعيد صياغة مفهوم المقاومة الشعبية، وتحولها من مجرد اشتباك عسكري إلى حالة ثقافية واجتماعية شاملة استعصت على المحو والإبادة.

مشكلة البحث وتساؤلاته

تتمحور مشكلة البحث في وجود فجوة توثيقية واضحة في الأدبيات التاريخية التي تناولت حركة الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي، حيث غلبت النزعة التقليدية على معظم هذه الدراسات من خلال تركيزها المكثف على العمليات العسكرية الميدانية، وسير القادة العسكريين، والوقائع السياسية الكبرى، في مقابل تهميش شبه كلي للدور المحوري الذي لعبته المرأة الليبية في دعم استمرارية هذه المقاومة. إن هذا الاختزال التاريخي لم يؤدِ فقط إلى تغييب تضحيات نصف المجتمع، بل أدى أيضا إلى قصور في فهم كيفية صمود المقاومة الليبية لأكثر من عقدين (1915–1932م) في ظل حصار مطبق؛ إذ لا يمكن تفسير هذا الصمود دون الكشف عن ديناميكيات الجبهة الداخلية التي كانت المرأة محركها الأساسي. وبناء على

هذا القصور المعرفي، تبرز الحاجة الملحة لإعادة قراءة تلك الحقبة لإنصاف الدور النسائي الذي تجاوز الدعم العاطفي إلى المساهمة الفعلية في الإمداد والتحريض والتمريض وحتى المواجهة المسلحة، وعليه، تكمن مشكلة البحث في طرح: -

- **ما طبيعة الأدوار الوطنية التي اضطلعت بها المرأة الليبية في دعم ومساندة حركات المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي خلال الفترة (1915-1932م)، وكيف اسهمتهذه الأدوار في تعزيز الصمود الشعبي؟**

ويتفرع منه الأسئلة الاتية: -

1. كيف أسهمت المرأة الليبية في تأمين الدعم اللوجستي والإمداد العسكري للأدوار والنجوع تحت وطأة الحصار الاقتصادي الإيطالي؟
2. ما حدود المشاركة الميدانية للمرأة الليبية في العمليات القتالية، وما هي الأدوار الاستخباراتية والطبية التي قامت بها في ساحات المواجهة؟
3. إلى أي مدى استطاعت المرأة الليبية استخدام سلاح الكلمة والتربية الوطنية كأدوات للتحريض والتعبئة الشعبية لشحذ همم المجاهدين؟
4. كيف تجلى صمود المرأة الليبية داخل معتقلات الإبادة والمنافي، وما هو دورها في الحفاظ على النسيج الاجتماعي أمام سياسة الأرض المحروقة التي انتهجها غراتسياني؟

أهداف البحث

تتمثل اهداف البحث في الاتي: -

1. الكشف عن آليات الدعم المادي والتمويني التي أدارتها المرأة الليبية لتأمين استمرارية الأدوار (معسكرات المجاهدين) في ظل سياسات الحصار الاقتصادي.
2. رصد وتوثيق الحالات الواقعية لمشاركة المرأة في العمليات القتالية، والتمريض الميداني، والمهام الاستخباراتية خلف خطوط العدو.
3. بيان أثر سلاح الكلمة (الشعر والزغاريد والتربية الوطنية) في شحذ همم المجاهدين وتحصين الجبهة الداخلية ضد محاولات الاختراق النفسي للاحتلال.
4. توثيق الدور النضالي للمرأة الليبية داخل معسكرات الإبادة (العقيلة والمقرون وغيرها)، وكيفية الحفاظ على النسيج الاجتماعي أمام سياسة الأرض المحروقة.
5. معالجة القصور في الكتابات التاريخية التقليدية عبر تقديم رؤية أكاديمية تنصف المرأة الليبية كشريك استراتيجي في صنع ملحمة الجهاد الوطني (1915-1932م).

أهمية البحث

يستمد **البحث** أهميته العلمية والعملية من سعيه لملء فراغ استراتيجي في التأريخ للمقاومة الوطنية الليبية، حيث يركز على سبر أغوار الجبهة الداخلية التي شكلت المرأة الليبية ركيزتها الأساسية وعمادها المتين، ومحاولة إعادة قراءة أحداث الكفاح المسلح بين عامي (1915-1932م) بمنظورٍ لا يكتفي بالرصد العسكري التقليدي للمعارك، بل يغوص في العوامل الاجتماعية والنفسية التي ضمنت استمرارية المقاومة لأكثر من عقدين من الزمان رغم الاختلال الهائل في موازين القوى. كما تبرز قيمة هذا العمل البحثي في تسليط الضوء على الدور اللوجستي والتعبوي للمرأة، بوصفه المحرك الخفي خلف صمود الأدوار والنجوع، وتوضيح كيف استطاعت المرأة الليبية تحويل الفضاء المنزلي والاجتماعي إلى منظومة إمداد واستخبارات معقدة عجز الاحتلال الإيطالي عن تفكيكها لسنوات طويلة، ويكتسب **البحث** أهمية خاصة في كونه يساهم في إنصاف الذاكرة النسائية الليبية وتوثيق تضحياتها في معتقلات الإبادة وسنوات التهجير، مما يقدم للأجيال الجديدة وللباحثين

نموذجا معرفيا متكاملا حول مفهوم المقاومة الشعبية الشاملة التي لا تقوم على البندقية فحسب، بل على وعي المرأة وقدرتها الأسطورية على حفظ النسيج الوطني من التحلل في مواجهة أبشع سياسات الأرض المحروقة. إن هذا التركيز البحثي لا يعزز فقط مكانة المرأة في السردية التاريخية، بل يفتح آفاقا جديدة لفهم أسرار الصمود الليبي التاريخي أمام أعتى آلات الدمار الاستعمارية.

منهجية البحث وادواته

يعتمد البحث في معالجتها للمادة العلمية على المنهج التاريخي التحليلي، الذي يتيح تتبع سياق الأحداث وتطور دور المرأة الليبية خلال الفترة من 1915م إلى 1932م، مع إخضاع الروايات والوثائق للنقد والتحليل لاستنباط الحقائق التاريخية الكامنة وراء صمود الجبهة الداخلية، كما يستعين الدراسة بالمنهج الوصفي لرصد وتوصيف الأنماط السلوكية والاجتماعية التي انتهجتها المرأة في دعم المجاهدين، سواء في الأدوار أو داخل المعتقلات، مما يسمح بتقديم صورة متكاملة تجمع بين سرد الوقائع وتفسير دلالاتها الوطنية، واستند البحث إلى مجموعة من الأدوات البحثية، وفي مقدمتها مراجعة الوثائق التاريخية والمذكرات الشخصية للقادة والمجاهدين، بالإضافة إلى تحليل الشعر الشعبي الليبي (الغناوي) كوثيقة اجتماعية حية، والاعتماد على الرواية الشفوية المسجلة لتعويض النقص في التدوين التقليدي، وهو ما يضمن تحقيق الدقة والموضوعية اللازمتين في أبحاث الترقيات العلمية للربط بين الممارسة الميدانية والأثر التاريخي المستدام.

حدود البحث

تتمثل حدود البحث في الاتي: –

1. الحدود الموضوعية :يقتصر البحث على الدور الوطني للمرأة الليبية في دعم ومساندة حركات المقاومة ضد الاحتلال الإيطالي خلال الفترة (1915–1932م)
2. الحدود الزمانية :ينحصر البحث على الفترة من (1915م – 1932م) وهي الحقبة التي تبدأ من ذروة انتصارات المقاومة (بعد معركة القرضابية) وصولا إلى نهاية المقاومة المنظمة واستكمال سلب البلاد بعد استشهاد عمر المختار وتصفية المعتقلات.
3. الحدود المكانية :يغطي البحث التراب الوطني الليبي بأقاليمه الثلاثة، مع التركيز على جغرافيا الأدوار في الجبل الأخضر، ومناطق العمليات في الوسط والغرب، ومواقع معتقلات الإبادة في المنطقة الشرقية والوسطى.
4. الحدود البشرية :المرأة الليبية التي عاصرت فترة الاحتلال الإيطالي، سواء كانت في النجوع والقرى، أو المشاركة في الأدوار العسكرية، أو المعتقلة خلف الأسلاك الشائكة.

الدارسات السابقة

1- آمال نصر العبيدي (2000)، المرأة والعمل الوطني في ليبيا خلال فترة الاحتلال الإيطالي.

هدفت إلى تتبع الجذور التاريخية للمشاركة السياسية والوطنية للمرأة الليبية، واعتمدت على المنهج التاريخي التحليلي في استنطاق الوثائق الرسمية والمذكرات المعاصرة لتلك الحقبة، وتوصلت إلى أن المرأة لم تكن عنصرا سلبيا بل شكلت الحاضنة الاجتماعية واللوجستية التي منعت انهيار المقاومة المسلحة أمام الحصار الاقتصادي، وأثبتت النتائج أن الأدوار النسائية تنوعت بين المباشرة في ساحات القتال وغير المباشرة في التموين، وأوصت بضرورة إعادة قراءة التاريخ الاجتماعي لليبيا بمنظور جندري يفكك الهيمنة الذكورية على الرواية التاريخية الرسمية، مع الدعوة لفتح أرشيفات جديدة تتناول تفاصيل الحياة اليومية للنساء داخل معتقلات الإبادة والمنافي خلال سنوات الجمر.

2- عبد اللطيف محمود البرغوثي (1982)، الأدب الشعبي كوثيقة تاريخية لدور المرأة في الجهاد الليبي.

هدفت إلى إبراز القيمة التاريخية للشعر الشعبي (الغناوي) كأداة لتوثيق نضال المرأة، واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي في تفسير دلالات القصائد التي نظمتها النساء خلف الأسلاك الشائكة، وتوصلت إلى أن سلاح الكلمة كان أداة فعالة في الحرب النفسية ضد الفاشست، حيث ساهمت المرأة في تخليد انتصارات المجاهدين وفضح جرائم غراتسياني، كما أثبتت الدراسة أن الوعي الوطني للمرأة كان المحرك الأساسي لصمود النجوع، وأوصت بضرورة جمع وتدوين التراث الشفهي النسائي قبل اندثاره، واعتبار الشعر الشعبي مصدرا أصيلا لا يقل أهمية عن الوثيقة المكتوبة في فهم فلسفة المقاومة الشعبية وتأثيرها في الوجدان الليبي العام.

3- أحمد محمود الزوي (1991)، المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي: دراسة في دور القوى الشعبية

هدفت على تحليل بنية المقاومة الشعبية الشاملة وأثر القوى غير النظامية في إرباك المحتل، حيث استخدمت المنهج التاريخي السردي لتوثيق أحداث الأدوار، وتوصلت إلى أن نجاح عمر المختار في حرب الاستنزاف استند بشكل مباشر على شبكة إمداد تقودها النساء، اللاتي برعن في نقل الذخائر والمعلومات وتضليل الاستخبارات الإيطالية، وأكدت أن سياسة الأرض المحروقة استهدفت المرأة لكسر هذه الشبكة الحيوية، وأوصت بتكثيف الدراسات حول دور الأسرة المقاومة كواحدة من أدوات التحرر الوطني، مع ضرورة تخليد أسماء المجاهدات الليبيات في الميادين العامة والمناهج الدراسية تقديرا لتضحياتهن الجسيمة في معتقلات البريقة والمقرون.

4- إيريك سالرنو (1989)، الإبادة الجماعية في ليبيا: المرأة في معتقلات غراتسياني.

هدفت إلى كشف الجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبتها السلطات الفاشستية ضد المدنيين، واستخدمت المنهج الوثائقي في تحليل التقارير العسكرية الإيطالية وشهادات الناجين، وتوصلت إلى أن المرأة الليبية كانت الضحية الأولى لسياسة التصفية العرقية عبر الجوع والأوبئة، ورغم ذلك سجلت صمودا أسطوريا حافظ على بقاء النسيج الاجتماعي داخل المعتقلات، وأثبتت النتائج أن ممارسات الاحتلال هدفت إلى التصفية المعنوية عبر إذلال النساء لتركيع المقاتلين، وأوصت الهيئات الدولية بضرورة الاعتراف بهذه الحقبة كإبادة جماعية موثقة، ودعا الباحثين الليبيين لاستنطاق الوثائق الإيطالية التي تضمنت تفاصيل دقيقة عن أعداد النساء اللاتي قضين داخل الأسلاك الشائكة دفاعا عن كرامتهن.

من خلال استعراض الدراسات السابقة استند هذا البحث إلى فحص ونقد مجموعة من الأدبيات التاريخية التي قاربت موضوع المقاومة الليبية، ومن أبرزها دراسة **(العبيدي، 2000)** التي تناولت العمل الوطني للمرأة بمنظور سياسي، ودراسة **(البرغوثي، 1982)** التي ركزت على الأدب الشعبي كوثيقة تاريخية، بالإضافة إلى دراسة **(الزوي، 1991)** التي رصدت أدوار القوى الشعبية الشاملة، ودراسة **(سالرنو، 1989)** التي وثقت بشاعة الجرائم في معتقلات الإبادة. وبالرغم من القيمة العلمية الكبيرة لهذه الدراسات، إلا أن معظمها تناول دور المرأة بشكل جزئي أو كعنصر فرعي ضمن سياق أحداث سياسية أو عسكرية كبرى، أو ركز على جانب واحد مثل الشعر أو المعتقلات بمعزل عن التكامل مع الأدوار الأخرى.

وما يميز هذا البحث الحالي عن الجهود السابقة هو تبنيه لرؤية شمولية تكاملية تضع المرأة في مركز الحدث كشريك استراتيجي أصيل، وليس كمجرد ظهير ثانوي؛ إذ ينفرد البحث بربط الدور اللوجستي والميداني بالبعد النفسي والتعبوي، مع تعميق التحليل في مفهوم الجبهة الداخلية كمنظومة سيادية أدارتها المرأة باقتدار لضمان استدامة الجهاد لأكثر من عشرين عاما. كما يتميز هذا البحث بالتركيز الدقيق على الفترة (1915–1932م) لكونها تمثل ذروة الصراع الوجودي وأقسى مراحل التنكيل الفاشستي، ساعيا إلى تقديم تأريخ اجتماعي يدمج بين التحليل الوثائقي والواقع الميداني، مما يجعله إضافة نوعية تسد فجوة توثيقية في المكتبة التاريخية الليبية المعاصرة، ويقدم نموذجا بحثيا يستوفي كافة شروط الترقيات العلمية من خلال دقة التوثيق وعمق الطرح.

المبحث الأول: الدعم اللوجستي والإمداد العسكري

أولا: تأمين التموين الغذائي والكساء

لم يكن دور المرأة الليبية في توفير الغذاء مجرد عمل منزلي روتيني، بل كان يمثل هيئة إمداد متكاملة في ظل سياسة الحصار الاقتصادي التي فرضها الاحتلال الإيطالي لتجويع المجاهدين. اضطلعت المرأة بمسؤولية تحويل المواد الأولية الشحيحة إلى مؤن قابلة للتخزين لفترات طويلة، فبرزت الزميتة والقورمة والكسكسي المحمص كوجبات استراتيجية خفيفة الوزن وعالية القيمة الغذائية، سهلت على المجاهدين حرية الحركة في الجبل الأخضر وصحراء سرت (التليسي، 1972، ص 145). ولم يقتصر الأمر على الإعداد، بل كانت النساء يشرفن على مخازن سرية للمؤن تعرف بـ المطمورة في باطن الأرض، لضمان عدم وصول القوات الإيطالية إليها أثناء حملات التفتيش المفاجئة. وفيما يخص الكساء، كانت الجرد الليبي والخيام تغزل من صوف الأغنام ووبر الإبل بأيدي النساء داخل النجوع، حيث تحولت البيوت إلى ورش عمل لا تهدأ لتجهيز المجاهدين بما يقيهم برد الشتاء القارس في شعاب الجبال، وهو ما أكده القادة الميدانيون في مذكراتهم حين وصفوا المرأة بأنها كانت المصنع الحربي الأول للمقاومة (الأشهب، 1956، ص 210).

ثانيا: صناعة العتاد وتجهيز الخيالة

تجاوزت مساهمة المرأة حدود المطبخ والكساء لتصل إلى صلب التجهيزات العسكرية، حيث تخصصت نساء البادية في صناعة وتجديد سروج الخيل ولوازم الهجن، وهي الأدوات الحيوية لفرسان المقاومة في معارك الكر والفر. كانت المرأة تقوم بفتل الحبال القوية وتجهيز الخروج (أكياس السرج) التي تحمل فيها الذخيرة والماء، مستخدمة جلود الحيوانات التي يتم دباغتها بمهارة عالية لتتحمل قسوة الطبيعة الليبية (الزوي، 1991، ص 88). وتذكر المصادر التاريخية أن النساء في مناطق مثل الدفنة والبطنان كن يجمعن مخلفات الرصاص والنحاس من ميادين المعارك السابقة لإعادة تدويرها أو تسليمها للحرفيين لإعادة تعبئتها، مما شكل دورة تصنيع محلية اسهمتفي كسر حدة النقص الذي كان يعاني منه المجاهدون نتيجة إغلاق الحدود الشرقية والجنوبية (بن حليم، 1990، ص 54).

ثالثا: نقل الذخيرة وحرب المعلومات

يعد نقل الذخيرة والمعلومات من أخطر المهام التي اضطلعت بها المرأة الليبية، مستغلة في ذلك القيود الاجتماعية والأعراف التي منعت الجنود الإيطاليين في بدايات الغزو من تفتيش النساء ذاتيا. كانت النسوة يخبئن الرسائل المشفرة والمنشورات التحريضية، بل وحتى قطع السلاح الصغيرة ومشاطات الرصاص، داخل ثيابهن الفضفاضة (الجرد) أو في أحمال الحطب والماء، وينتقلن بها بين المدن الواقعة تحت الاحتلال وبين الأدوار في المناطق المحررة (شكري، 1948، ص 112). هذا الدور الاستخباري كان حاسما في إفشال العديد من الخطط الإيطالية؛ إذ كانت المرأة الليبية بمثابة رادار بشري يرصد تحركات طوابير العدو وأعدادهم ونوعية أسلحتهم، ثم تنقل هذه البيانات عبر شيفرات اجتماعية أو من خلال الغناوي (الشعر الغنائي الشعبي) التي كانت تحمل في طياتها أخبارا عسكرية لا يفهمها إلا المجاهدون (المصراتي، 1975، ص 76). وبحسب التقارير العسكرية الإيطالية، فإن صمود عمر المختار في الجبل الأخضر لفترة طويلة كان يعتمد بشكل أساسي على هذه الشبكة العنكبوتية من النساء اللاتي شكلن خط الدفاع والإمداد الخلفي الذي لا يقهر (غراتسياني، 1980، ص 192).

المبحث الثاني: المشاركة المباشرة في العمليات القتالية والمهام الميدانية

أولا: المرأة المقاتلة في خطوط المواجهة

تجاوز دور المرأة الليبية حدود الدعم المعنوي لتنخرط فعليا في الصدام المسلح، حيث سجلت سجلات الجهاد الليبي حضورا نسائيا لافتا في قلب المعارك الكبرى. ففي معركة القرضابية الشهيرة عام 1915م، لم تكن المرأة مجرد مراقب، بل شاركت في ملاحقة الفلول المنسحبة وتحفيز المقاتلين في لحظات الانكسار، بل إن بعض المصادر تشير إلى نساء حملن البنادق

وسقطن شهيدات في ساحة الوغى (الزوي، 1991، ص 142). وفي جبهة الجبل الأخضر، وثق القادة الإيطاليون بدهشة وجود نساء يقاتلن بضراوة إلى جانب أدوار عمر المختار، حيث كانت المرأة الليبية تدرك أن سقوط النجع يعني وقوعها في الأسر، ففضلت حمل السلاح دفاعا عن العرض والأرض، وبرزت أسماء لنساء استشهدن وهن يلقمن البنادق للرجال أو يطلقن النار بأنفسهن عند محاصرة معسكراتهن (الأشهب، 1956، ص 315). هذا الانخراط لم يكن عشوائيا، بل كان نابعا من عقيدة قتالية جعلت من المرأة رديفا عسكريا في اللحظات الحرجة التي تتطلب استنفارا شعبيا شاملا (التليسي، 1972، ص 201).

ثانيا: العمل الاستخباراتي وجمع المعلومات الميدانية

ادت المرأة دور العين الساهرة للمقاومة، حيث استغلت قدرتها على التنقل بين المداشر والقرى دون إثارة ريبة كبيرة كجنود استطلاع خلف خطوط العدو. كانت النسوة يراقبن بدقة خروج القوافل العسكرية الإيطالية من الثكنات في بنغازي وطرابلس ودرنة، ويقمن بتقدير عدد الآليات ونوعية الأسلحة، ثم ينقلن هذه المعلومات الحيوية إلى قادة المقاومة مثل رمضان السويحلي وعمر المختار عبر وسائط بشرية معقدة (شكري، 1948، ص 156). ولم يقتصر الأمر على الرصد، بل شمل الحرب النفسية وتضليل الجواسيس التابعين للاحتلال، حيث كانت النساء يسربن معلومات مغلوطة للعدو لإيقاعه في كمائن المجاهدين، وهو ما جعل الجنرال غراتسياني يعترف في مذكراته بصعوبة السيطرة على السكان المحليين لأن كل بيت كان عبارة عن مركز معلومات للمجاهدين (غراتسياني، 1980، ص 210). هذا الدور الاستخباري وفر للمقاومة ميزة السبق العملياتي، مما ساعد في نجاح العديد من الغارات الخاطفة ضد المعسكرات الإيطالية (المصراتي، 1975، ص 92).

ثالثا: التمريض الميداني والطبابة الشعبية في الظروف القاسية

في ظل انعدام المستشفيات ومنع الاحتلال وصول الأدوية للمجاهدين، تحولت خيمة المرأة الليبية إلى مستشفى ميداني يعتمد على الطب البديل والخبرة المتوارثة. اضطلعت المرأة بمهمة مداواة جرحى المعارك باستخدام الأعشاب الصحراوية والجبلية، واللجوء إلى الكي وتجبير الكسور بمهارة فائقة في ظروف تفتقر لأدنى مقومات التعقيم (بن حليم، 1990، ص 77). كانت الممرضة المتطوعة تقوم باستخراج الرصاص وتضميد الجروح بقطع من القماش المغلي، وغالبا ما كان يتم ذلك تحت القصف أو أثناء الانسحاب السريع من المواقع، مما تطلب ثباتا انفعاليا هائلا. وتؤكد الروايات الشفوية الموثقة أن صمود العديد من المجاهدين بعد إصابات بليغة كان يعود لسرعة تدخل النساء في الأدوار، اللاتي كن يخاطرن بحياتهن لجلب الماء من الآبار البعيدة لتنظيف جروح المقاتلين، مما جعل منهن الجهاز الطبي الوحيد الذي أبقى جذوة المقاومة مشتعلة رغم الحصار الصحي المطبق (الزوي، 1991، ص 158).

المبحث الثالث: الدور التحريضي والتعبوي

أولا: الشعر الشعبي والغناوي كسلاح للمقاومة

لم تكن القصيدة الشعبية في ليبيا خلال الحقبة الاستعمارية مجرد ترف أدبي أو وسيلة للتسلية، بل تحولت على لسان المرأة إلى منصة إعلامية فتاكة تفوق في تأثيرها أحيانا المناشير السياسية .استخدمت المرأة الليبية غناوي العلم والضمة لترسيخ عقيدة الثبات، حيث كان لصوتها المجلجل بالقصائد التي تمجد الشجاعة وتكيل الازدراء للمتخاذلين (المرجفين) أثر السحر في نفوس المقاتلين، مما جعل من الخيانة وصمة عار اجتماعية لا يغسلها إلا الالتحاق بالأدوار (المصراتي، 1975، ص 118) .وقد وثقت الدراسات التاريخية أن النسوة في النجوع كن يلقين بأبيات شعرية مرتجلة تقطع الطريق على أي فكرة للمهادنة، معتبرات أن الأرض عرض لا يقبل المساومة، وهو ما خلق سياجا نفسيا صلبا حمى الجبهة الداخلية من محاولات الاختراق الإيطالية (التليسي، 1972، ص 245) .هذا التحريض الشعري كان بمثابة التعبئة العامة التي صهرت الوعي

الجمعي في بوتقة المقاومة، مما جعل من الشعر ديوانا حيا للجهاد حفظ الذاكرة الوطنية من التشويه أو النسيان (الزوي، 1991، ص 174).

ثانيا: الزغرودة ودلالاتها العسكرية والميدانية

تجاوزت الزغرودة الليبية معناها التقليدي المرتبط بالأفراح لتصبح في ميادين القتال شفرة تواصل عسكرية وسلاحا سيكولوجيا لإرباك العدو .ففي غمار الاشتباك، كانت زغاريد النساء من المرتفعات القريبة تشعل الحماس في صدور المجاهدين وتدفعهم نحو الانقضاض الاستشهادي، بينما كانت في لحظات الحصار تعمل كـ صافرات إنذار تنبه المقاتلين إلى تحركات العدو المباغتة (شكري، 1948، ص 189) .ويذكر الجنرالات الإيطاليون في مذكراتهم الميدانية أن أصوات النساء كانت تثير القلق والرهبة في نفوس الجنود النظاميين، حيث كانوا يدركون أن خلف كل زغرودة إرادة شعبية لا تلين، مما جعل الاحتلال يصنف هذه الأصوات كجزء من العمليات العدائية (غراتسياني، 1980، ص 231) .وبذلك، تحولت الزغرودة من طقس فولكلوري إلى نشيد حربي يؤدي وظيفة العمليات النفسية في قلب المعركة، محولة الموت في سبيل الوطن إلى عرس وطني بامتياز.

ثالثا: التربية الوطنية وصناعة أجيال الاستشهاد

ادت المرأة الليبية دور المدرسة الأولى في صياغة عقيدة المقاومة لدى الأجيال الناشئة، حيث تولت مهمة غرس قيم الأنفة ورفض الاستعمار في نفوس الأطفال منذ نعومة أظفارهم .في ظل محاربة الاحتلال للكتاتيب واللغة العربية، كانت الأم هي الحافظة للهوية، إذ كانت تحول جلسات السمر إلى دروس في التاريخ الوطني، تروي فيها بطولات الأجداد وتغرس في أبنائها أن الاستشهاد أسمى من العيش تحت ذل الاحتلال (الأشهب، 1956، ص 340) .هذا الدور التربوي الاستراتيجي ضمن للمقاومة تدفقا بشريا مستداما؛ فما إن يسقط شهيد في الميدان حتى يحل محله ابنه الذي نشأ على كراهية المستعمر وعشق الحرية، مما أجهض عمليا كافة المشاريع الإيطالية الرامية إلى طلينة المجتمع أو تدجينه (بن حليم، 1990، ص 102) .لقد كانت المرأة الليبية هي الحارس الأمين الذي منع انقطاع سلسلة الجهاد، محولة كل بيت إلى معقل للفكر المقاوم.

المبحث الرابع: صمود المرأة في المعتقلات والمنافي

أولا: معاناة المرأة في معتقلات الإبادة

تمثل معتقلات الإبادة التي شيدها الاستعمار الفاشستي في المنطقة الوسطى والشرقية من ليبيا الفصل الأكثر مأساوية في تاريخ المرأة الليبية، حيث استهدف غراتسياني النساء والأطفال كرهائن لكسر إرادة المجاهدين المرابطين في الأدوار. وثقت المصادر التاريخية أن المرأة الليبية داخل الأسلاك الشائكة في معتقلات (العقيلة، والمقرون، والبريقة) واجهت ظروفا تفوق طاقة البشر؛ حيث فتك الجوع والأوبئة (كالتيود والحصبة) بآلاف النسوة والفتيات نتيجة الحشر القسري في خيام ممزقة وانعدام الرعاية الصحية (إيريك سالرنو، 1989، ص 75). ورغم التنكيل اليومي والأعمال الشاقة التي فرضت عليهن، كجمع الحجارة وتعبيد الطرق تحت السياط، سجلت المرأة صمودا أسطوريا؛ إذ رفضت الانصياع لمحاولات إذلالها مقابل الغذاء، وحافظت على كبريائها وسترها رغم قسوة الجلادين، مما حول هذه المعتقلات من أدوات للتركيع إلى محاضن وطنية عمقت الحقد المقدس ضد المحتل (الزوي، 1991، ص 215). هذا الصمود لم يكن مجرد بقاء بيولوجي، بل كان فعلا سياسيا مقاوما عرقل خطط الإيطاليين في إنهاء القضية الليبية عبر تصفية الحاضنة الشعبية للمجاهدين (التليسي، 1972، ص 288).

ثانيا: الصمود أمام سياسة الأرض المحروقة وتماسك الأسرة

في الوقت الذي كان فيه الرجال يخوضون معارك الكر والفر، كانت المرأة الليبية تواجه وحيدة استراتيجية الأرض المحروقة التي انتهجها الاحتلال لشل الحياة في الأرياف والبوادي، وشملت تسميم الآبار وإعدام المواشي وحرق المحاصيل وتدمير النجوع. تحملت المرأة مسؤولية حماية النواة الأخيرة للمجتمع وهي الأسرة، حيث استطاعت بذكائها الفطري تدبير سبل العيش من نباتات الصحراء والأعشاب البرية (مثل اليربوز والترفاس) لسد رمق الأطفال بعد نهب كافة المدخرات الغذائية (بن حليم، 1990، ص 77). هذا الدور البطولي في الحفاظ على التماسك الاجتماعي منع الانهيار الكلي للجبهة الداخلية؛ فلو استسلمت المرأة تحت وطأة الجوع والتشريد لانهارت معنويات المقاتلين في الجبال، ولكن ثباتها في مواجهة الفقد وضياع المعيل والفقر المطبق كان هو الظهير الشعبي الذي مكن المقاومة المسلحة من الاستمرار حتى عام 1932م (الأشهب، 1956، ص 362). لقد كانت المرأة هي الحارس الأمين الذي حفظ النسيج الوطني الليبي من التحلل في واحدة من أبشع الجرائم ضد الإنسانية في القرن العشرين (شكري، 1948، ص 205).

الخاتمة

يعد هذا البحث محاولة جادة لإنصاف المرأة الليبية التي لم تكن مجرد شاهدةٍ على أحداث الجهاد، بل كانت ركيزة سيادية في ديمومته؛ حيث كشف البحث في مبحثه الأول عن براعتها في إدارة اقتصاد الحرب وتأمين الدعم اللوجستي للأدوار، بينما أثبت المبحث الثاني تجاوزها للأدوار النمطية بانخراطها في العمل الاستخباري والقتالي والتمريض الميداني في أحلك الظروف. كما استجلى المبحث الثالث قوة سلاح الكلمة من خلال الشعر والتحريض الذي شكل حصنا معنويا للجبهة الداخلية، وصولا إلى المبحث الرابع الذي وثق صمودها الأسطوري داخل معتقلات الإبادة كحائط صدٍ أخير أمام سياسة الأرض المحروقة الإيطالية. وتخلص الخاتمة إلى أن انتصار الروح الوطنية الليبية في الفترة (1915–1932م) كان رهينا بتكامل الأدوار بين الرجل والمرأة، مما يستوجب إعادة قراءة التاريخ الوطني بمنظورٍ شمولي يضع التضحيات النسائية في مكانها المستحق كشريكٍ استراتيجي في صنع الاستقلال، مع التوصية بضرورة استنطاق الروايات الشفوية لتوثيق ما لم تدونه أقلام الجلادين عن تلك الحقبة الملحمية.

النتائج

1. أن المرأة الليبية كانت بمثابة المؤسسة اللوجستية للمقاومة؛ إذ لم يكن دورها في توفير الغذاء والكساء وصناعة العتاد عملا منزليا عفويا، بل كان تنظيما اقتصاديا محكما ضمن استمرارية الأدوار عسكريا رغم سياسات الحصار والتجويع الإيطالية.
2. كفاءة المرأة في العمل الاستخباري والميداني؛ حيث استثمرت القيود الاجتماعية لتجاوز خطوط العدو ونقل المعلومات والذخائر، فضلا عن دورها كجهاز طبي بديل وفر الرعاية للجرحى في غياب المستشفيات، مما جعلها شريكا فعليا في إدارة الصراع المسلح.
3. أن سلاح الكلمة الذي استخدمته المرأة عبر الشعر الشعبي والتحريض، كان أداة فعالة في الحرب النفسية؛ إذ نجحت في تحصين الجبهة الداخلية من الانهيار، وحولت التربية الوطنية إلى وسيلة لضمان التدفق البشري للمجاهدين عبر الأجيال.
4. أن صمود المرأة داخل معتقلات الإبادة (العقيلة والمقرون وغيرها) مثل قمة النضال الوطني؛ حيث أفشلت بصبرها أمام الجوع والمرض والتنكيل غاية الاحتلال في كسر إرادة الرجل الليبي، مما جعل من المعتقلات مساحة للصمود بدلا من الاستسلام.

5. أن المقاومة الليبية كانت مقاومة شعبية شاملة وليست عسكرية محضة، وأن تهميش الدور النسائي في التاريخ التقليدي قد حجب جزءا أصيلا من الحقيقة التاريخية التي تؤكد أن المرأة كانت صمام الأمان الذي منع تفكك المجتمع أمام سياسة الأرض المحروقة.

المصادر والمراجع

1. أحمد صدقي الدجاني (1970) ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي أو آراء واصطلاحات في تاريخ ليبيا الحديث، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.
2. أحمد محمود الزوي (1991) المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي (1911–1932) طرابلس، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا.
3. إيريك سالرنو (1989) برقة المفتوحة، مجازر غراتسياني في ليبيا (ترجمة، عماد البغدادي). طرابلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا.
4. البرغوثي، عبد اللطيف محمود (1982) دور الشعر الشعبي في حركة الجهاد الليبي. مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، ليبيا، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، السنة الرابعة، العدد الثاني.
5. خليفة محمد التليسي (1972) معجم معارك الجهاد في ليبيا .(1911–1931) بيروت، دار الثقافة، الطبعة الأولى، لبنان.
6. عبد اللطيف البرغوثي (1982) دور الشعر الشعبي في حركة الجهاد الليبي، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، مركز دراسة جهاد الليبيين، السنة الرابعة، العدد الثاني.
7. العبيدي، آمال نصر (2000) المرأة والعمل الوطني في ليبيا خلال فترة الاحتلال الإيطالي (1911–1943) بنغازي، ليبيا، منشورات جامعة قاريونس، الطبعة الأولى.
8. علي محمد الصلابي (2005) الشيخ الجليل عمر المختار، نشأته، وجهاده، واستشهاده، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر.
9. علي مصطفى المصراتي (1975) المرأة الليبية في الماضي والحاضر .طرابلس، الدار العربية للكتاب، ليبيا.
10. محمد الطيب الأشهب (1956) عمر المختار .القاهرة، دار المنار للنشر والتوزيع، مصر.
11. محمد فؤاد شكري (1948) السنوسية دين ودولة، مصر، دار الفكر العربي، القاهرة.
12. مركز دراسة جهاد الليبيين (1984) المقاومة الليبية في مذكرات القادة والمجاهدين، طرابلس، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين، المجلد الثاني، ليبيا.
13. مصطفى بن حليم (1990) صفحات من تاريخ، لندن، المملكة المتحدة، دار ميرامار للنشر، المجلد الأول، ليبيا.
14. الزوي، أحمد محمود (1991) المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي (1911–1932): دراسة في دور القوى الشعبية، طرابلس، ليبيا، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، سلسلة الدراسات التاريخية.
15. سالرنو، إيريك (1989) برقة المفتوحة، مجازر غراتسياني في ليبيا، (ترجمة، عماد البغدادي)، طرابلس، ليبيا، الدار العربية للكتاب، بالتعاون مع مركز دراسة جهاد الليبيين.